"يوميّات طبيبٍ في وطنٍ مسلوب"

obeikandl.com

الكتاب: يوميَّات طبيبٍ في وطنٍ مسلوب
المؤلف: وائل حمزة
الطبعة الأولى: ٤٢٠١
رقم الإيداع: ٢٠١٤/٨٤٢١
الترقيم الدولي: ٤- ١٥- ٦٤٤٥- ٩٧٧٦- ٩٧٨
إشراف عام : آية عفيفي
مراجعة لغوية : عبد الرحمن شيبة
غلاف : NileDesign.com

كامل حقوق النشر والطبع محفوظة
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب الإلكتروني
العنوان : مدينة نصر – ٤٠ شارع أبو داود الظاهري
هاتف : ٠١٠٠٢٠٥٢٢٦٦
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com

obeikandl.com

يوميَّات طبيبٍ في وطنٍ مسلوب

"يوميَّات"

تأليف : وائل حمزة

obeikandl.com

obeikandl.com

يضع النّاس ثِقتهم في خبرتي.

يشكُون آلامهم؛ كي تهيمَ مقلتي.

أستمع لزَفَراتهم، وأكتُم عنهم زَفْرتي.

ينظرون، وينتظرون ماذا تكون نظرتي.

لكنّي ككلّ البشر أخطئ، وأصيب، حتّى لو كان لقبي: "الطّبّيب".

"عَشَرة أيّامٍ في أفغانستان.. معاناة طبيبٍ وتاريخ مهنة"

obeikandl.com

مقدِّمة

كنت أوَّل أفراد عائلتي دخل الطّبّ، وكانت فرحة أسرتي ساعتها غامرةً، لكن تراوحت المشاعر بعد ذلك من فرحةٍ إلى غَيرةٍ إلى غِبطةٍ؛ فبعد تخرُّجي مرّت عليَّ أيّامٌ كثيرةٌ تمنَّيت فيها لو لم أكن طبيبًا؛ فقد أثبتت دراسات تشريح الموتى أنّه في أفضل مستشفيات أمريكا يُخطئ الأطبَّاء الكِبار في تشخيص مريض كلّ ٤ مرضى، وفي بعض المستشفيات يصل الخطأ في التّشخيص إلى ٤٠% أي: كما كان قبل الحرب العالميّة، وكأنّ كلّ التّقدّم في الطّبّ لم يفد.

ووُجد أنّ ١٠% من مرضى المستشفيات في الدّول المتقدّمة محجوزون؛ بسبب أخطاء الأطبّاء أو التّمريض أو عرَضٍ جانبيٍّ لدواء.

ووُجد أنّ% ٨٠- ٩٠ % من المرضى يشفَون دون الذّهاب لطبيبٍ أو أخذ دواء!

وأصدر أستاذٌ بكلّيّة "هارفارد"مقالةً ذكر فيها: "إنّه قبل ١٩١١ م كانت نسبة شفاء المريض الّذي ذهب للطّبيب أقلّ من ذلك الّذي لم يذهب".

والآن تُوجد دراساتٌ حديثةٌ تبيّن أنّه في الفترات الّتي يوجد فيها أطبّاء أقلّ تقلّ نسبة الوفَيَات!

وفي إحدى زياراتي المنزليّة القليلة، طلبني أهل المريض -ليس لتخصّصي، بل لأنّي موجودٌ في مستشفى خاصّ في وقتٍ مبكّر من الصّباح-؛ حتّى أُطلعهم هل مات مريضهم أم لا! وحين رأيته تبيّنت أنّه لفِظ أنفاسه من فترة، وكان لديه مرضٌ مُزمنٌ جعلهم لايطّلعون عليه في غرفته مدّةً طويلةً!

وحين سألوني في آخر الزيارة: كم تريد يادكتور؟

كنت محرَجًا من الإجابة، فقلت بسرعةٍ: "عشرين".

ودُهِشت؛ فلم يبدُ علىهم أيّ امتعاض، ودفعوا المبلغ، وشكروني؛ لمساعدتي، وفي طريقي لخارج المنزل كنت أفكّر:يالها من مهنةٍ؛ أعيش على مآسي الآخرين! وعلى الرّغم من ذلك أحببت مهنتي، وأعطيتها وقتي وجُهدي ومالي.

"السّفر إلى أفغانستان"

obeikandl.com

obeikandl.com

في عيد ميلادي الأربعين كنت في مستشفى في جنوب البلاد، قضيت فيها ١٠ أشهر، واليوم وقد مرّ ٢٢ يومًا على عيد ميلادي الواحد والأربعين، فأنا في أفغانستان في عيادةٍ يوميّةٍ تمتدّ ثلاث ساعاتٍ، ثمَّ مسئولٌ عن مرضى القسم الدّاخلي؛ فهكذا الحال في المؤسسة الّتي أعمل فيها: أن أكون كلّ عامٍ في مكان!

هنا لأيّ أفغانيّ الحقّ في دخول المستشفى والعلاج مجّانًا، ولكن لأنّ الأعداد كبيرة؛ فلا يدخل يوميًّا أكثر من حوالي٤٠٠مريضٍ.

كنت أسأل نفسي:

أليس من حقّ كلّ مريضٍ في بلده أن يُعالَج كما يجب دون أن نكلّفه مشقّةً ماديّةً بجانب المشقّة البدنيّة الّتي يعانيها؟!

أتذكّر حين كنت نائبًا زائرًا في الجامعة في وحدة المبتسرين في بلدي كان يأتيني أحد الآباء، ومعه ابنه المبتسر؛ ليدخل المحضّن، فأعتذر له بأدبٍ؛

لأنّه لايوجد أمكنةٌ؛ فإذا به يصيح في وجهي، ويبصُق عليّ؛ فتسمّرت في مكاني، ولم يبدر منّي أيّ ردّ فعلٍ؛ فأنا أعلم أنّه مُحبطٌ، وله العذر.

بل إنّي أظنّ أنّه اقترض ثمن سيّارة الأجرة الّتي جاء بها، ويدور بها على مستشفيات العاصمة الواحدة تِلو الأخرى؛ لينقذ حياة ابنه المبتسر، وأعلم أنّ الأمور أفضل الآن؛ فقد زاد عدد المحاضن المجّانيّة، ولكن لايزال غير كاف.

وهناك رقم هاتفٍ يتبع وَزارة الصّحّة؛ للبحث عن المحضن الخالي، ولكن الرّقم كثيرًاما لايردّ.

وعادةً ينتهي الأمر بالأب إلى إحدى المستشفيات الخاصّة الّتي تكلّفه مالايطيق.

في تقرير التّنمية الّذي يُصدر من الأمم المتّحدة عن الدّول العربيّة كانت الشّكوى من تدهور الخدمات العامّة كالمدارس، وتمّت المقارنة بما كان في العصور القديمة حين كانت المدارس تُدار كوقفٍ خيريّ، ولا يهمّ رجال الأعمالٍ إلّا الكسب.

الشيء نفسُه ينطبق على المستشفيات في الماضي؛ إذ إنّ المريض كان هو السّيّد؛ لأنّه يدفع المال، ويؤدي الطّبّيب كلّ جُهده؛ لنفع المريض، أمّا اليوم فهناك سادةٌكثيرون: (رجال الأعمال، المستشفيات الخاصّة،

التّأمين الصّحيّ، مديرو المستشفيات الحكوميّة، وقبل كلّ أولئك شركات الأدوية).

أصبح الأطباء تِجاريّون، يستعملهم "البيزنس" الضّخم، ويكون انتماؤهم لـ"لبيزنس" لا للمريض! ولايتمتّع الأطبّاء الآن بالسّعادة الّتي كانوا يتمتّعون بها من قبلُ، قبل أن يصبح الطّبّ تِجارة.

الطّبّ هو أن تتنازل عن أتعابك لمريضٍ فقيرٍ تساعده بوقتك وجُهدك؛ للبحث عن جهازٍ مناسبٍ لساقه بعد أن بُترت، تتّصل بزملائك، وترسل المريض لهم -إن أحسست أنّهم أفضل منك-.

حينما يقول المريض:

قرأت في مجلّة أنّ هناك علاجًا آخر لمرضي؛ فتشرح له دون غضبٍ من خطئه، وليس كأنّه من جنسٍ منحطّ؛ أنا الطّبّيب، وأنت المريض.

أن تعرف أنّك غير معصوم، وأنّ الطّبّ سيستمر بك أو دونك.

obeikandl.com

"اليوم الأوَّل في أفغانستان"

obeikandl.com

obeikandl.com

مرّت سنونٌ بالسّعود وبالهنا فكأنّها من قِصرها أيّامُ.

ثُمّ انثنت أيّام هجرٍ بعدها فكأنّها من طولها أعوامُ.

ثُمّ انقضت تلك السّنون وأهلها فكأنّها وكأنّهم أحلامُ.

obeikandl.com

obeikandl.com

العناية الطّبّية في أفغانستان = صفرًا كبيرا.

يبلُغ من تواضع حال المستشفيات أنّ أكبر المستشفيات المستشفى العسكريّ بكابول، ولاتقبل إلّا أعدادًا محدودةً من المدنيّين، ولايوجد فيها قسم تخديرٍ؛

فتتمّ عمليّة استئصال اللوزتين مثلًا بمخدّر موضعيّ كما كان الحال قبل الحرب العالميّة الثّانية؛ فقد احتفظت بصورةٍ للمريض، وهو يجلس ممسكًا في يده حوضًا كلويًّا أسفل فمه، وهو معصوب العينين في أثناء العمليّة!

لايوجد عملٌ للأفغان يرتزقون منه، ينتشر الفساد في حكومة أفغانستان الموالية؛ فهي توظّف بالرَّشاوى، ولايوجد مشروعاتٌ حقيقيّةٌ تفيد النّاس، ولاتوجد بنيةٌ تحتيّة. الكهرباء في العاصمة تستمرّ لساعاتٍ معدودةٍ في اليوم، وأكثر النّاس بلا بيوتٍ، بل يعيشون في خِيام، ولاتوجد مياهٌ صالحةٌ للشّرب إلّا القليل؛ فحين سألتهم عن ماءٍ للوضوء أشاروا إلى بركةٍ راكدةٍ من الماء الفاسد هو ماؤهم!

obeikandl.com

من الجميل هنا أنّنا لانحاسب الأفغان عن أيّ فحوصاتٍ أو علاجٍ بعكس المستشفى الفِرنسيّ القائم في كابول.

في بلدي يجد المريض نفسه في حَنَق من مصاريف المستشفيات؛ فيومٌ واحدٌ يكلّف ألفًا، حتّى نحن كأطبّاء لانفهم تفاصيل فاتورة المستشفى؛ فبعض التّكاليف نجد أمامها نثريّات (أسماء أدويةٍ لم نسمع عنها من قبلُ)، وتكاليف أشياء لاسعر لها مثل: الأسبرين وورق الحمّام.

وهكذا أصبح الطّبّ وسيلةً؛ للنّهب، لا للرّحمة وتخفيف الآلام، وكذلك تِجارة الدّواء؛ فسعر قرص الدّواء حتّى في الدّول الأوربيّة يساوي ألف مرّةٍ ضعف تكاليف الإنتاج، ومن المفروض أن تكون نتائج الأبحاث الطّبّيّة تراثًا إنسانيًّا ليس من حقّ أحدٍ احتكاره كما كان مع تراث "الزّهراوي "و"الرّازي"، لكنّ العكس ما يحدث، وإلّا فلتوقّف الشّركات الغربيّة إنتاج اللقاحات؛ لأنّ أوّل من ابتكرها تركيٌّ مسلمٌ أيّام الخلافة، ولتوقّف الشّركات الغربيّة إنتاج أقراص الدّواء؛ لأنّ أوّل من اخترعها "الزّهراوي"؛ فكان أوّل من استخدم قوالب خاصّةً؛ لصنع الأقراص الدّوائيّة، ولتوقّف جبائر الجبس؛ لأنّ أوّل من وصفها "الرّازي"، ولتوقّف صناعة الأدوية عمومًا؛ لأنّ مرجع العلوم الصيدليّة الحديثة حتّى القرن الـ١٦م هو: كتاب" الجامع" لـ "ابن البيطار".

وتصل ميزانيّة تِجارة الدّواء في العالم إلى ٤٠٠ مليار دولارٍ سنويًّا، ويوجد فسادٌ متعمَّدٌ من رشاوى للسّياسيّين وتمويل الحملات الانتخابيّة ورشاوى لوسائل الإعلام، بل هناك تلاعبٌ في الدّراسات العلميّة، وأصبحت صناعة الدّواء إحدى آليات الهيمنة الأمريكيّة. وتقع الاتّهامات الموجّهة لشركات الأدوية في ثلاث أبعادٍ:

•معظمها أدويةُ عرضٍ، وليست مرضًا.

•آثارها الجانبيّة.

•مفروضةٌ على الجمهور بواسطة الحكومات والسّلطات الطّبّية مثلًا: تسيطر "أسرة روكفلر" صاحبة شركة "بريستول ومايرز سكويب" على نصف مبيعات العلاجات الكيماويّة في العالم، و"روكفلر" مستشار وَزارة الدّفاع الأمريكيّ في الخمسينيّات، وكان يُجري تجاربَ سريّةً لأسلحةٍ بيولوجيّة؛ لإنقاص سكّان العالم الثّالث!

تُرى هل وجود أمريكا في أفغانستان سيَزيد من الكارثة الطّبّية هناك بتلك التّجارب السّرّيّة؟!

obeikandl.com

"اليوم الثّاني"

obeikandl.com

obeikandl.com

مـن الجميـل أن أرى الأمّهـات الأفغـان يقـنعن بـأيّ دواءٍ لأمـراض أطفالهنّ أو نصيحةٍ دون اقتراح علاجٍ آخر، وكأنّهنّ خريجات طبّ!

أتذكّر حين كنت طبيب امتيازٍ، وأكتب محلول الجفاف لمرض النّزلة المعويّة، رأيت الأمّ تلقي بتذكِرة الدّواء قبل خروجها من باب العيادة، لكن بعد انتشار التّوعية في وسائل الإعلام؛ بدأت النّاس تتقبّل فكرة علاج الإسهال بالمحلول، وليس المضادّ الحيويّ.

قبل الحرب العالميّة كان الالتهاب الرِّئويّ هو السّبب الرئيسيّ للوفاة، ولم يكن له علاجٌ؛ فقد كان الطّبّ قبل الحرب كهنوتًا أكثر منه علمًا.

كان أحد الأسئلة الشّائعة في امتحانات كليّة الطّبّ:
لو تهت في الصّحراء، وكان عندك خيارٌ أن تحتفظ بسبعة أدوية فما هي؟

الإجابة:

الحديد؛ لأنيميا نقص الحديد، الزّرنيخ؛ للزّهري، الكينين؛ للملاريا والأنسولين؛ للسّكّر والكبد والأنيميا الخبيثة، اللانوكسين؛ للقلب، المورفين؛ للألم.

فيما عدا ماسبق لم يكن هناك أدويةٌ ذات نفعٍ، فقد بدأ الطّبّ الحديث والمضادّات بعد الحرب، وأنقذت حياة ملايين، لكن بمرور الوقت ظهرت مناعةٌ ضدّها، وأصبحت المستشفيات الّتي يُستخدم فيها المضادّ ينتشر فيها عدوى المستشفى؛ لأنّ الجراثيم الحسّاسة للمضادّ ماتت، وتلك صاحبة المناعة أصبح لها الكلمة العليا.

أُصيبت عاملة نظافةٍ في مستشفى كبرى بعاصمة بلدي عن طريق إبرةٍ في أثناء جمع القُمامة، وسألتني، ونحن في باص المستشفى عمّا يجب عمله-يبدو أنّها لم تعر الأمر اهتمامً-! ولم يمرّ وقتٌ طويلٌ، حتّى رقدت في المستشفى بإصابةٍ بكتيريّةٍ عنيفةٍ في الذّراع الّتي شُكّت فيه، وتطوّر الأمر لأكثر من عمليّةٍ جراحيّةٍ في ذراعها الّتي تضخّمت بشكلٍ مخيفٍ؛ حتّى أنّهم فكّروا في بترها، وليتهم فعلوا؛ فبعد أيّامٍ قليلةٍ تُوفيت من التّسمّم البكتيريّ- كما يبدو-؛ فقد كان للميكروب مناعةٌ من مضادّات المستشفى، وأعلم زميلًا لي قُدِّم للمحاكمة بسبب إعطائه مضادًّا حيويًّا لمريضٍ تسبّب في موته؛ لأنّه كانت لديه حساسيّة، وبالطّبّع لم يكن الطّبّيب ولا المريض يعلمان ذلك؛ فمن المستحيل أن تتوقّع سابقًا أيّ

المرضى ستكون عنده حساسيّة؛ لأنّ كلّ مريضٍ يختلف عن الآخر حيويًّا؛ فيمكن لأيّ أحدٍ أن يموت بقرص "أسبرين"؛ فأمّي عندها حساسيّة من الأسبرين، وما إن تناولت قرصًا حتّى تتورّم.

بدأ استعمال الأسبرين ١٨٩٨، واستُخدم ملايين الأطنان، وعالج الآباء أولادهم لسنين طويلةٍ بالأسبرين، أمّا الآن، ومنذ الثمانينيّات عرفنا أن هذا خطرٌ؛ لأنّ بعض الأطفال الّذين يأخذون أسبرين، وعندهم حُمّى؛ ينتهي بهم الأمر لفشلٍ حادٍّ في الكبد.

مرّ عليَّ طفلان بهذا المرض؛ فإنّه مرضٌ(رأي).

وصفت للأمّهات الأفغان كيف يصنعن محلول الجفاف في المنزل:

٤/٣ ملعقة ملحٍ + ٨ ملاعق سكّر صغيرةٍ على لتر ماءٍ، وباللغة الدّارية:

"ياك جلاس آب همروي نيم قاشق ناماك ودو قاشق بورا."

coeikandi.com

obeikandl.com

"اليوم الثَّالث"

obeikandl.com

obeikandl.com

اليـوم في العيـادة جـاءتني فتـاةٌ أفغانيّـةٌ عنـدها ١٠ سـنوات اسـمها "صاحبة"، وعندها فشلٌ كُلَويّ.

لاعلاج لكثيرٍ من الأمراض سوى "المواساة"؛ أحسّ كثيرًا بالتّقصير حين أجد حالاتٍ مستعصيةٍ لاأقضي معها وقتًا أطول في المواساة.

حين بدأت دراستي في الطّبّ في السّنين الإكلينيكيّة، كنت أحضر عيادة الرّمد مع أطبّاء الجامعة، وأُفاجَأ بفظاظة معاملتهم للمرضى، وكانت العيادة مزدحمةً دائمًا، وحين شكوت لأحدهم من ذلك ردّ عليّ:

"أنت مازلت طالبًا، ليس عليك إلّا أخذ تاريخ المرض، ولكن بعد التّخرّج والاحتكاك مع المرضى؛ ستجد تعاطفك معهم يقلّ." وهذا للأسف ماحدث؛ فبمرور الوقت، وبعد سنةٍ من التّدريب رأيت آلاف المرضى، وأصبح الأمر روتينيًّا؛ فأنا أرى يوميًّا في المستشفى العديد من المرضى، فتعلمت تدريجًا ألّا أرتبط كثيرًا بالمريض؛ فحين يرتبط الطّبّيب بالمريض في أوّل ممارسته للمهنة يجد نفسه متألما بعنفٍ حين لايُشفى، أو يموت!

لكن لو أنا مريضٌ؛ أحبُّ من طبيبي أن يعاملني معاملةً خاصّة:

أوّلًا- لاأنتظر كثيرًا؛ كي أراه.

ثانيًا- يجب أن أعلم حقيقة مرضي دون تأخير.

نعم يقولها بلطفٍ، ولكن يجب أن يقولها سابقًا؛ فلم نكن نطلع المريض أبدًا على مرضه الخطير، بل نطلع أهله فقط، أمّا الآن فأفضل شيءٍ أن تسمع للمريض أوّلًا؛ فهو سيخبرك: ماهي، وماكمّيّة المعلومات الّتي يريد معرفتها؛ فنخبره فقط مايستطيع تحمّله.

سألني ذات مرّةٍ أحدهم عن صداع مزمنٍ يصيبه؛ فأجبته أنّ مرض الأذكياء الصّداع النّصفيّ.

يعلم الخبراء أنّ الأخبار السيّئة تغضب المريض، فبدلًا من إطلاع المريض مباشرةً على تشخيصٍ مثل: الضّغط أو القُرحة يمكن قول:

عندك مرض مديري البنوك "ضغط الدّم"، أو أنت مثل رجال الأعمال عندك "قُرحةٌ"، أو عندك داءُ الملوك "النِّقرِس".

ثالثًا- أحبّ أن أرى تعاطف الطّبّيب وإنسانيّته، وليس فقط علمه.

كان "المسيح"يمسح على مرضاه؛ فيشفيهم، وكان" أبو القاسم الزّهراوي" الأندلسيّ يخصّص نصف نهاره؛ لعلاج المرضى مجّانًا؛ قربةً إلى الله، وهو الّذي بلغ عند جرّاحي أوروبا منزلة "أبوقراط "و"جالينوس".

قالت لنا د/بربارا أحد أكبر أطبّاء طوارئ الأطفال في بريطانيا، وأنا أعمل في مستشفى"ألدر هاي":

"كن بشوشًا؛ فحتّى لو لم تكن طبيبًا جيّدًا؛سيقول المريض: على الأقلّ كان بشوشًا معي".

رابعًا- أحبّ أن تكون فحوصاتي على يد خبيرٍ ودون ألم.

طلبت لتلك الفتاة الأفغانيّة دمًا وبيكربونات ودواء ضغطٍ لفشلها الكُلَويّ، وحجزتها في المستشفى.

obeikandl.com

"اليوم الرّابع"

obeikandl.com

obeikandl.com

حجزت اليوم في المستشفى في القسم الدّاخلي أختين "قدسيّة ومقدّسة" تعانيان من تضخّمٍ في الكبد والطّحال من سنتهما الأولى، فعمرهما الآن ٥ & ٩ سنواتٍ، ولهما أخٌ مات بنفس المرض؛ فذهبوا لكلّ المستشفيات الكبيرة من قبلُ: الفِرنسيّ والألمانيّ والمصريّ، ولم يصل أحدٌ لتشخيصٍ!

"لاأعرف" هي أقسى عبارةٍ على لسان أيّ طبيبٍ أحاول دائمًا أن أتجنّبها من أوّل عامٍ؛ ففي كلّيّة الطّبّ تعلّمنا أنّه لاشيء مؤكّد، وتعلّمنا أنّ المعلومات كثيرةٌ أكثر من قدرتنا على الاستيعاب، ورغم ذلك دائمًا ما نُسأل، ونُمتحن، ويُتوَقَّع منّا الإجابة.

لاسبب معروفٌ للعديد من الأمراض؛ لذا لاعلاج لها ناجحٌ، ورغم هذا لاتنتهي الكتابات الطّبّيّة ومناقشة الأسباب المحتملة والعلاجات المقترحة، ولو التزمت الكتب أن تذكر عن كثير من الأمراض هاتين الجملتين:

"لاسبب معروف؛ لذا لانعلم العلاج"؛ لبارت الكتب؛ لذا فهي تمتلئ بالنّظريّات الّتي تتعارض من وقتٍ لآخر.

أُعطيَت عام ١٩٤٠ جائزة "نوبل" للطّبّ لجرّاحٍ اخترع عمليّة استئصال الفصّ الأماميّ للمخّ في مرض انفصام الشّخصيّة، وبعد مرور السّنين وُجد أنّ هؤلاء المرضى تحسّنوا فقط لفترةٍ محدودةٍ، ثُم ازدادت حالتهم سوءا.

الآن لو جرؤ طبيبٌ أن يقوم بهذه العمليّة؛ فسيعلّقونه على حبل المِشنقة، ويقذفون به خارج البلاد!

يتغيّر فكر الأطبّاء دومًا:

العلاج يتغيّر مثل موضة الملابس، فعلاج سرطان الثّدي في السّابق كان استئصالًا مريعًا للصّدر كلّه، والآن تغيّرت النّظرة، فأصبح الورم فقط هو الّذي يُستأصل، ويعقبه علاجٌ كيماويٌّ أو إشعاعيٌّ أو هرمونيّ.

مثال آخر لتغيّر الطّبّ:

في السبعينيّات كان الهرمون الأنثويّ"الأستروجين" يُستعمل لعلاج أعراض سنّ اليأس، ثُمّ ذهبت موضته من جديدٍ؛ لأنّ نقص الإستروجين يسبّب هشاشة العظام.

وفي أحد الأعداد لأحد أكثر المجلّات الطّبّية احترامًا كان هناك مقالتان عن الإستروجين إحداها كُتبت على يد خبراء يُثبتون أنّ "الأستروجين"

يسبّب مرض القلب، والأخرى كُتبت على يد خبراء لايقلّون احترامًا، ويثبتون أنّ "الأستروجين" يمنع مرض القلب!

أجد هذه المشكلة عند كتابة "الكورتيزون" في روشتّة، فمثلًا الأزمة الرّبويّة تحتاج إلى "كورتيزون"، ولكن الكثير يرفضه، بل إن أمّي المُصابة بالرّبو لاأستطيع إقناعها بأخذ بخّاخة الكورتيزون فضلًا عن الأقراص!

ترى في الجرائد والمجلّات الكثير من المقالات عن مضارّ "الكورتيزون"؛ ممّا جعل المرضى يخافون بشدّةٍ، فهناك الكثير من الأسئلة دون إجابةٍ عن "الكورتيزون" إلى الآن؛ فلمَ نحن متأكّدون أنّ المريض على خطأ؟!

نصحت أمّ الأختين الأفغانيين قدسية ومقدسة بعدم عمل عيّنة الكبد والنّخاع الّتي طلبها طبيبٌ أمريكيٌّ في المستشفى الأمريكيّ؛ فحتّى لو وصلنا لتشخيصٍ لا أظنّ أنّه سيغيّر من العلاج شيئًا.

بالإضافة للتّكلفة والجُهد الشّديد لعمل تلك الفحوصات، فربّما يفيد التّشخيص فيما يُسمّى "النّصيحة الجينيّة"

ولكن لايحتاج الأمر إلى خبرةٍ طبّيّةٍ كبيرةٍ لمعرفة أنّ المرض الّذي أصاب ثلاثةً من أفراد أسرةٍ واحدةٍ "وراثيٌّ".

obeikandl.com

"اليوم الخامس"

obeikandl.com

obeikandl.com

في العيادة يأتيني العديد من المرضى ذوي الأمراض المزمنة صعبة التّشخيص وأحيانًا الحادّة؛ فأحسّ بتوتّرٍ شديدٍ؛ فأحتاج لفحوصاتٍ متقدّمة غير متوافرة؛ فأُضطر للاستعانة بالمستشفى الأمريكيّ الّذي هو مخصّص أصلًا للقوات الأمريكيّة والمتحالفة-ياحسرتي على تقدّم الغرب علينا-.

قال المؤرّخ "ول ديورانت": ظلّ علم الطّبّ يسير في ركاب أئمّة الطّبّ من العرب حتّى القرن ال١٦، في الواقع أنّه حتّى القرن الـ ١٨،وكانت كلمة ابن سينا لايوازنها كلمة أيّ طبيبٍ.

حين أُسّست كليّة الأطبّاء الملكيّة ١٠% من تحاليل المعامل خطأٌ حتّى في أمريكا، ولوبعثت أيّ عيّنة دمٍ لثلاثة معامل؛ لأتت لك بثلاث نتائج مختلفةٍ، ويختلف أطّباء الباثولوجيّ في العيّنة الواحدة: هل هي سرطان أم لا!

تعلّمت من والدي ومن دراستي ومن عملي ومن ديني أنّ المريض في المقدّمة، ولكن ماذا يحدث لنوعيّة الكشف حين يكون مطلوبًا منك في ثلاث ساعاتٍ أن تكشف على مائة مريضٍ؛ كي لايشتكي أحدهم المؤسّسة الّتي تعمل فيها؟!

إذا كان الأمر كذلك فكثيرًاما لايقتنع المريض بتشخيصك، ويطلب منك رأي من هو أكثر خبرةً؛ وأحيانا أقبل بهذا، وهو المفترض، لكن كثيرًا ماكنت أرفض شاعرًا بجرح في كبريائي.

كثيرًا مايرى الطّبّيب ماوصفه زميله، فيغيّره تمامًا لا لشيءٍ؛ ليرضيَ المريض، ويقنعَه أنّه أفضل.

أعتقد أنّ المرء لن يصل لقمّة علمه إلّا حين يقول للمريض:

"لا بأس عندي أن تطلب رأي طبيبٍ آخر".

في الواقع لكي يوافق طبيبٌ مريضه أن يأخذ رأي طبيبٍ آخر؛ لابدّ أن يكون واثقًا من علمه؛ فكلّما ازددتُ علمًا، زادني علمًا بجهلي. بل إنّ هذا سيخفّف من المسؤوليّة الّتي على عاتقه ناحية المريض.

سببٌ آخر للمريض أن يطلب رأيًا آخر غير عدم ثقته في الطّبّيب أن يكون غير سعيدٍ بالتّشخيص كتشخيص الأمراض المزمنة والخطيرة.

كلّما مرّ الزّمن قلّ ثقة النّاس بالأطبّاء؛ ربّما لكثرة أخطائهم، وربّما لتعسّر العلاج، وربّما لزيادة الأسعار، وربّما لكلّ هذا معًا.

الطّبّيب الّذي لايعترف بالخطأ هو نفسه مغفَّلٌ وخطرٌ؛ ممّا يساعد على الخطأ في التّشخيص.

كثرة ساعات العمل:

في الثّمانينيّات في أمريكا كان الطّبّيب يعمل ١٤ ساعةً يوميًّا، ثُمّ كان المطلب ١٢ ساعةً يوميًّا مع الإجازات الأسبوعيّة والسّنويّة.

وحين كنت أعمل في بريطانيا عام ٢٠٠٠ كان العمل من ٩ ص : ٥ م يوميًّا عدا السّبت والأحد مع ١-٢ نوبتجيّة/أسبوع.

هناك يحرصون على ألّا يعمل الطّبّيب لفترةٍ أكثر من هذه؛ لأن السّاعات الطّويلة تؤدي للإرهاق والخطأ في الحكم.

كيف تختار الطّبّيب الأفضل؟

أوّلًا- الأمانة والخلق:

حتّى أتأكّد من أنّ نصيحته لمصلحتي، وليس لمصلحته مثلًا: يبعث لي لعمل تحاليل؛ لا نفع لها إلّا عمل مصلحةٍ مع المعمل المجاور له، أو يكتب دواءً لمجرّد أنّ الشّركة وعدته بهديّةٍ فاخرةٍ لو أكثر من كتابة ذاك الدّواء.

ثانيًا- العلم:

من أيّ كلّيّة تخرّج؟ أين عمل؟ هل معه دراساتٌ عليا؟ هل مازال يعمل؟ مارأي زملائه فيه؟ ماتقييمه في علاج المرض الّذي نحن بصدده؟

ثالثا- الشّخصيّة:

هل هوعطوف يسمع كلّ شيءٍ، يحسن الكلام، عنده قبول الطّبّ الحديث، يطالب الطّبّيب أن يشارك مريضه في أخذ قرار العلاج؟

أُضطررت للاستعانة بالمستشفى الأمريكيّ في فحوصاتٍ متقدّمةٍ مع معمل مستشفانا؛ فشخّصنا خرّاجًا بالمخ؛ فاستطعنا إنقاذ حياة الطّفل، وشخّصنا ورمًا بالغدّة فوق الكُلى والتهاب سحائي درني وسرطان دم وفشل بالنّخاع وداء فون ويلبراند وقابلية النّزيف؛ فاستطعنا إنقاذ حياة الطّفلة ووقف نزيفها بعلاجٍ جاءنا خصّيصى من ألمانيا.

obeikandl.com

"اليوم السَّادس"

obeikandl.com

obeikandl.com

كانت العيادة مزدحمةً اليوم؛ لأنّه يوم الحريم، ولأنّه يوم توزيع الهدايا من القوات الأمريكيّة؛ لاستقطاب الأفغان، وجاءني طفلٌ بسرطان الدم، فصرفته؛ لأنّه ليس عندنا علاجٌ كيماويٌّ.

أبديت للأب تعاطفي معه؛ فشكرني مقدّرًا مشاعري؛ فمن الجميل أن تظهر تعاطفك مع المريض.

أتذكّر زوج عمّتي الّذي كان يعاني من فشل بالكبد، وكان في المستشفى الجامعيّ في عنبر خاصّ يتلقّى أفضل علاج، ولكن عند زيارته طلب منّي بإلحاحٍ الخروج رغم حالته المرضيّة المتقدّمة، ولم أفهم السّبب وقتها، ولم يطلعني هو، وتعجّب أطبّاؤه، وبالفعل خرج حسب الطّلب، ثُمّ مات بعد وقتٍ قليلٍ، ففهمت بعد هذا أنّ السّبب هو: في أثناء شرح الأستاذ الطّبّيب حالته للأطبّاء والطّلبة زلّ لسانه ببعض الكلمات بالعربيّة تعبّر بقسوةٍ عن حالته المتردّية.

ما أكثر ما يحدث هذا الطّريقة غير الإنسانية في التّحدث عن مرضٍ أمام المريض كما لو كان غير موجود!

إنّها عادةٌ طبّيّةٌ حمقاءُ وسيّئةٌ، منتشرةٌ،، من العادات الطّبّيّة القبيحة للأطبّاء أن يتأخّروا في إطلاع مرضاهم على نتائج الأبحاث وتفاصيل المرض والعلاج أو اقتضاب ذلك.

ذاتَ مرّةٍ بعد أن خرجَت أمُّ طفلٍ مريضٍ من غرفة الكشف حيثُ كنت جالسًا مع زملائي الأطبّاء بعد أن أطلعناها أنّ عليها تجميع بول الطّفل ٢٤ ساعةً رأيتها من الخارج تشير إليّ؛ فخرجت لها، فسألتني بإحراج: كيف أجعل طفلي يحبس بوله ٢٤ ساعةً؟!

في الدّول الغربيّة قد يقاضون طبيبًا؛ لعدم إطلاعهم على كلّ مضاعفات المرض، ولكن هذه الطّريقة من الصّعوبة بمكان.

أنت تقرأ نشرة دواءٍ، فترى عشرات الأعراض الجانبيّة؛ فتعتقد أنّه خطرٌ، ولكن حتّى قرص الأسبرين له العشرات من الأعراض الجانبيّة، فإذا كان الطّبّيب من الحكمة بحيثُ يعطي للمريض مايجعله متفائلًا؛ فأعتقد أنّ هذا لايتنافى مع رُوح الطّبّ.

فأيُّ طبيبٍ منّا عاشر هذه المشكلة؛ فلايُوجد علاجٌ دون مشاكل؛ فلو خاف المريض من الدّواء سيفقد تأثيره النّفسيّ، وكثيرٌ من الأدوية تعمل بهذه الطّريقة، فقد علّمنا رئيس قسم الأمراض النّفسيّة بالجامعة أنّ مريض المستشفى الجامعيّ يُشفى بدواء قد لايُشفى به إذا أخذه من

وحدةٍ صحيّةٍ لا لشيءٍ إلّا للتّأثير النّفسيّ (الرّازي أوّل من اكتشف الأثر النّفسيّ للعلاج).

حين رأتني الممرّضة "أسماء "أؤكّد للأب الأفغانيّ أنّ الطّفل المصاب بسرطان الدّم، وهو ينقل الدّم أنّه يمكن شفاؤه بالعلاج الكيماويّ ظنّت أنّي أبالغ، ولكن الحقيقة أنّ علاج سرطان الدّم في الأطفال الآن يزداد سهولةً، وإن لم يكن هناك علاجٌ كيماويٌّ في أفغانستان؛ فعليه أن يسافر لباكستان أو إيران.

فأوّل ماظهر العلاج الكيماويّ كنّا ننصح مرضانا بنسيانه، والموت في سلام من هول أعراضه الجانبيّة.

ولكن بمرور السّنين اتّضح فعاليّة العلاج في الشّفاء من السّرطان؛ فالآن ٥٠% من حالات السّرطان يتمّ الشّفاء منها.

obeikandl.com

"اليوم السَّابع"

obeikandl.com

obeikandl.com

اليوم خرجت صاحبة الطّفلة الأفغانيّة المصابة بالفشل الكُلويّ من المستشفى، ونصحتها بتقليل البروتين والفاكهة واللبن والملح.

دائمًا مايسأل المرضى عن الطّعام، وكثيرًا ماينصحهم الأطبّاء نصائح مضادّة؛ لأنّ المعلومات الطّبّيّة نفسها متغيّرة؛ فقد نصح أحد الأطبّاء الأفغان صاحبه بتفادي اللحم نهائيًّا، وليس هذا من الحكمة لطفلةٍ في مرحلة النّموّ، ووزنها ١٥كجم في سنّ عشر سنوات!

قديمًا كان الأطبّاء ينصحون مريض السّكّر مثلًا أن يأكل غذاءً غنيًّا بالدّهون؛ لأنّه ليس لديه أنسولين يحرق الكربوهيدرات؛ فكان فَطور مريض السّكّر في الثلاثينيّات عبارة عن: ٣ بيضات، طبق فولٍ، نصف رغيفٍ، بعض الزُّبد ولاسكّر. وفي بداية الأربعينيّات تغيّر الرّأي؛ فأصبحت النّصيحة للمرضى بغذاءٍ أعلى في الكربوهيدرات مع زيادة جرعة الأنسولين، والآن تغيّر الرّأي ثانيةً؛ ليقلّ الكولسترول، وتزاداد السّكريّات المعقّدة، وعمومًا قد يفيد طعامٌ شخصًا، ويضرّ الآخر!

إذا ذكرت للمريض أيّ التزاماتٍ في الطّعام يخبرك أنّ أباه في الرّيف كان يأكل الزُّبد والسّمن والبيض واللحم والدّجاج والدّهون، وأمّا الفاكهة والسّلطات فكلَّ حينٍ وآخر،ولم يكن هناك فيتامينات على عكس مايُنصح به الآن، ورغم ذلك نجد أنّ صحّة آبائنا وأجدادنا في الرّيف جيّدةٌ، ويعمّرون!

ما الإجابة على هذا اللغز؟

يبدو أنّ الأمر جينات مع بيئةٍ صحّيّةٍ: فربّما يستطيع فردٌ أن يتحمّل أكل الدّهون دون مضاعفاتٍ وآخر لا.

تُبيّن الإحصائيّات الآن أنّ النّحيف أفضل صحّيًّا من البدين، والغذاء قليل الكولسترول، كثير الألياف أفضل، لكن لايبدو من الحكمة أن نقول عن غذاءٍ واحدٍ أنّه الأفضل لكلّ النّاس؛ فالإحصائيّات تختلف من فترةٍ لأخرى، وكذلك الكثير من أساليب العلاج المذكورة في الكتب ليست مقدّسةً، بل يمكن تغييرها.

في إحدى اللقاءات العلميّة حيثُ كان هناك مناقشةٌ؛ لبحثٍ طبّيٍّ عن العلاج بالإشعاع للسّرطان، كان عنوان البحث: "اثنان واحد اثنان اثنان"، وهو مايبدو كخطواتٍ إيقاعيّة لإحدى الرّقصات، وليست خطوات علاج سرطان!

وحين قدّم الطّبيب بحثه بيّن أنّه يوصي أن يُعطى العلاج يومين ثُمَّ يوم راحةٍ ثُمَّ يومين إشعاع ثُمَّ يومين راحةٍ، ثُمَّ يُكرَّر.

وفي حفلة الكوكتيل بعد المناقشة حين سُئِل عن سبب هذه الوصفة قال:

بصراحة نحن نعمل الاثنين والثّلاثاء، وأمّا الأربعاء إجازتنا ثُمَّ الخميس والجمعة، فيتبعه السّبت والأحد إجازة؛ لذا فهذه الوصفة مناسبةٌ لنا!

وهكذا نظلّ في الدّول النّامية نتّبع مثل هذه التّوصيات معتقدين أنّها مقدّسةٌ لا لشيءٍ إلّا أنّها جاءت من الدّول المتقدّمة.

نصحت الطّفلة "صاحبة" -كما نصحت من قبلُ مريض سرطان الدّم- باستكمال علاجها في "باكستان".

obeikandl.com

"اليوم الثّامن"

obeikandl.com

obeikandl.com

جاءني اليوم طفلٌ في حوالي العاشرة من عمره يشتكي من تضخّمٍ في الطُّحال مع نقصٍ بصفائح الدّم.

أحسّ بالقلق حين تواجهني معضلة التّشخيص؛ فكلّ الأطبّاء يخطئون، وأنا أخطأت كثيرًا في التّشخيص والعلاج، وكلّ خطأٍ يتبعه فترةٌ من الاكتئاب والقلق وتأنيب الضّمير، لكن هذا لايُقارن بما يشعره المريض نفسه وأهله.

شخّصت مرض طفلةٍ أفغانيّة تعاني من صعوبةٍ في البلع مع تضخّم في الغدّة الدّرقية على أنّه التهابٌ في الحلق، ولكن حين أصابها صعوبةُ التّنفّس كان التّشخيص الأكثر منطقيّةً هو التهاب الغدّة الدّرقية.

جاءتني طفلةٌ أفغانيّةٌ محوَّلةٌ من المستشفى الأمريكيّ مصابةٌ بسوء تغذيةٍ، أتت لهم عن طريق الخطأ من إحدى القرى البعيدة، وضعها أهلها في الطّائرة الأمريكيّة خلسةً؛ يأسًا من شفائها، وجاءها نتيجة تغذيتها بسرعةٍ وبقوّةٍ في المستشفى الأمريكيّ نقصٌ شديدٌ بأملاح الجسم

والبوتاسيوم، ولم أوفّق في علاج نقص البوتاسيوم وخاصّةً أنّ التّحليل كان يتطلّب نقل العيّنة للمستشفى الأمريكيّ لعملها، وماتت الطّفلة.

أيضًا في أثناء فترة التّدريب بعد تخرّجي وضعت قسطرة بولٍ لمريض بطريقةٍ خاطئةٍ نتج عنها انفجارٌ في البروستاتا، وجاءني أحد الأطفال في مستشفى خاصّ ببلدي يُشتبه في أعراض مرض السّكّر، وأخبرته بعمل تحليلٍ في الخارج للبول، ولم أطلع أهله على احتمال إصابته، ولو أنّي كان لابدّ لي من فعل ذلك، ولم يعد الطّفل ثانيةً.

الطّبيب الّذي لايعترف بخطئه خطرٌ على المرضى؛ لأنّه لن يتعلّم أبدًا.

رأيت طفلًا دخل مستشفى "سانت جونز" الّتي كنت أعمل فيها في "أسكتلندا"، وكان يعاني من بولٍ مدمّمٍ، وشُخّص التهابٌ بالكُلى، وبعد أيام اتّضح أنّ التّشخيص خطأٌ، وأنّه التهابٌ بالزّائدة الدّوديّة رغم مرور المستشارين الإنجليز عليه، وكذلك جرّاحين، وكلّهم أخطؤوا، بل في مستشفى "ألدرهاي" بلفربول، وهي أكبر مستشفى أطفال في غرب أوروبا، ففي أثناء عملي في قسم الاستقبال أتت طفلةٌ بهبوطٍ في القلب، وماتت فورًا، واتّضح أنه قد أُخطئ في تشخيص قلبها المريض رغم متابعتها من قبلُ في عيادة القلب!

وفي تاريخ الأمراض الكثير من الأخطاء العلاجيّة:

ففي ١٩٦٠م ظهر علاج "السيكلوفوسفاميد" لعلاج سرطان الدّم، وتمّ تجربته في مرض "الروماتويد" بنتائج مذهلةٍ، ولكن بعد عدّة سنواتٍ مات المرضى بسرطانٍ بسبب العلاج.

وفي السبعينيّات كانت الأمّهات المصابات بالإجهاض المنذر يعطَون دواء "داي إيثيل استيلسترول"، وحين تُولد بناتهنّ يبدون طبيعيّات أوّلًا، ولكن حين يبلغن سنّ المراهقة يُصاب العديد منهنّ بسرطان الأعضاء التّناسليّة؛ بسبب الأستروجين الّذي أخذته أمهاتهنّ، حتّى في الدّول المتقدّمة تجد شكوى مثل: آلام الظّهر لها آراءٌ مختلفة:

يراه الممارس العامّ؛ فيقول: تمزّق في أربطة الظّهر، وحين لايتحسّن يراه طبيب العظام؛ فيقول: انزلاقٌ غضروفيٌّ، وحين لايتحسّن يراه الطّبّيب النّفسيّ؛ فيقول: لايُوجد مرضٌ عضويٌّ، بل هي حالةٌ نفسيّةٌ! ثُمّ يراه طبيب الرّوماتزم: كلّهم مخطئون؛ فهذه بداية روماتزم في العظام، ويراه آخر: الأشعّة والتّحاليل جيّدةٌ، إنّه روماتزم في العضلات، ثُمّ جرّاح أعصاب: كلّ الأطبّاء السّابقين مخطئون؛ إنّه ديسك يحتاج لجراحةٍ، وآخر: لايحتاج لجراحةٍ يمكننا حقنه بإنزيمات تذيبه، وآخر: لاتفعل شيئًا؛ فستتحسّن بمرور الوقت.

أيّ مريضٍ بآلامٍ مزمنةٍ في الظّهر سيجد نفسه في موقفٍ مشابهٍ!

سبب التّضخّم الفاحش للطّحال في أطفال أفغانستان مع نقص الصّفائح: إمّا الملاريا أو اللشمانيا أو سرطان.

تمّ تشخيص الملاريا للطّفل وإعطاؤه العلاج.

obeikandl.com

"اليوم قبل الأخير"

obeikandl.com

obeikandl.com

كثيرًا ما أقبّل الأطفال الأفغان، وأربت عليهم في العيادة.

أتذكّر أمّي حين كانت تعود من عند الطّبّيب كانت تظلّ تردّد كلّ لفتةٍ أو تلميحٍ منه، وكثيرٌ من المرضى قد يفهمون هذه التّلميحات خطأً بأنّ معناها مثلًا أنّ مرضهم خطيرٌ؛ لذا يجب توخّي الحذر في أيّ تلميحاتٍ مع إبراز مشاعر الرّحمة دائمًا ناحية المرضى.

جاءني طفلٌ اسمه "مبشر هميون"، يعاني من أنيميا مزمنةٍ، وماتت أخته بأنيميا مشابهةٍ يعتقد أنّها أنيميا البحر المتوسّط، ولكن لأوّل مرّة أجد في العيادة الأمّ تبكي، وهي تقابل أمّ طفلٍ آخر عنده أنيميا البحر المتوسّط، وحين أجد مرضًا مزمنًا ليس له علاج أحسّ بالعجز والتّعاسة، وأحسّ أنّ أهل المريض سيقولون عنّي: إنّه طبيبٌ لانفع منه.

ولكن الغريب أنّي أرى الأهل يشكرونني، يبدو أنّ أهل المريض لايتوقّعون منّي عمل المعجزات، فكلّ مايطلبونه منّي أن أفعل أفضل ماعندي، وأقدّم لهم تعزّياتي وإحساسي بهم حين أفشل.

شعرت بهذا مع أب الطّفل الأفغانيّ المصاب بسرطان الدّم، وأب الطّفلة المصابة بأنيميا النّخاع، وأب الطّفل حديث الولادة المصاب بانسدادٍ معويٍّ، ولم نستطع عمل جراحةٍ له؛ لعدم توافر الإمكانات.

لم أرَ أكثر رجولةً وتحمُّلًا لظلف العيش من الأفغان، ولم أرَ اكثر تقوًى من نسائهم؛ فرحم الله "محمود الغزنوي" الّذي أدخل الإسلام في بلادٍ لاتنطق العربيّة!

فقد بلغ من تديّن الأفغان ماروواه "ابن بطّوطة": أنّهم عرفوا يومًا أنّ في دار الملك منكرًا؛ فاجتمعوا على الباب؛ فخاف منهم، فاستحضر الفقيه، وكان الملك قد شرب الخمر؛ فأقاموا عليه الحدّ داخل قصره، ثُمَّ انصرفوا!

يقول الأمير "شكيب أرسلان": لو لم يبقَ للإسلام في الدّنيا عِرقٌ ينبِض؛ لرأيت عِرقه بين الهملايا والهندوكش (جبال شمال أفغانستان) نابضًا، وعزمه هناك ناهضا.

والمرّة الوحيدة الّتي أُفنيَ فيها جيشٌ لبريطانيا من دولة صغرى كان في أفغانستان عام ١٨٤٢، والمرّة الوحيدة الّتي أُفنيَ فيها جيشٌ للسّوفيت من دولةٍ صغرى حدث من الأفغان قبل انهيار الاتّحاد السّوفيتيّ.

ولينتظر الأمريكان مصير الإنجليز حين انتصروا أوّلًا في ١٨٧٨، ثُمَّ مالبثوا أن وجدوا مقاومةً لم تتوقّف، وكبّدتهم خسائر فادحةً، حتّى أُضطروا للانسحاب خاسئين في ١٩٢١م.

obeikandl.com

obeikandl.com

"اليوم الأخير"

obeikandl.com

obeikandl.com

رأيت كثيرًا من أمراض الدّم في الأطفال الأفغان!
هل هذه النّسبة الطّبّيعية، أم هناك تلوُّث كيماويّ؟ لاأدري!

من الأشياء الصّادمة التّدهور الخطير في أوضاعنا الصّحيّة خلال العقود الثّلاثة الماضية؛ فقد تفشّت في بلدي أمراض سرطان الأطفال، فأكثر من مليون مصابٍ والالتهاب الكبديّ (٦٠%) والعجز الجنسيّ والفشل الكُلويّ، كما يُوجد أكثر من ٨ ملايين مصابٍ بالسّكّر.

أوَّل من استخدم سلاح الأمراض كان من الوالي الإنجليزيّ في الصّومال "آرشر" عام ١٩٢٠م ضدّ "الملا محمد بن عبدالله" المجاهد الصّوماليّ الكبير الّذي كان على مدى ٢٠ سنةً مضرب المثل وموطن تقدير الأعداء أنفسهم؛ فقد أرسلت إنجلترا عدّة حملاتٍ؛ للقضاء عليه، فانتصر عليهم، حتّى أنّ الرّأي العام البريطانيّ أثاره النّفقات الطّائلة المصروفة دون جدوى؛ فطالب بالانسحاب من الصّومال.

وكحِيلةِ العاجز قال "آرشر" :سأمحوه بسلاحٍ لم يجربه من قبلي أحدٌ: فلوّث مياه كلّ الآبار، وزرع الجراثيم في التّراب، ومات بحرب الجراثيم البطل الصّوماليّ -وإن حصلت بعد ذلك بلده على استقلالها-.

توجد الآن هيئة صحّيّة أمريكيّة تُسمّى "نامرو "٣ لا يعلم الكثير عن نشاطها شيئًا، هي تابعة لسلاح البحْريّة الأمريكيّة؛ لمراقبة الأمراض المعدية في العالم، وقد أنشئت في التّسعينيّات، وهدفها أمن القوّات الأمريكيّة من الأمراض، ومن سنة ١٩٩٨ كوّنت في مصر شبكةً من ١٤ مستشفى حمّيّات؛ لمتابعة المصابين بالالتهاب السّحائيّ والدوسنتاريا والالتهاب الكبديّ، وتقيّم علاجهم.

وقد قامت بفحص أكثر من ١٥ ألف فردٍ من القوات الأمريكية المشتركين في مناورات النّجم السّاطع مع القوّات المصريّة عام ٢٠٠١ م؛ لمعرفة الإصابات المنتقلة من البيئة المصريّة.

والسّؤال: لماذا يتمّ مراقبة الأمراض المعدية من هيئة أمريكيّة إلّا إذا كانت القوّات الأمريكيّة تخطّط؛ لزيارةٍ طويلةٍ في مصر؟!

في نهاية مقامي في أفغانستان ودّعت د: "غلام" المترجم وطبيب الأطفال الأفغانيّ الّذي صحبني، وساعدني كثيرًا في أخذ تاريخ المرض؛ فأخذ تاريخ المرض هو ٦٠% من الطّريق للتّشخيص.

شاركت د: "غلام" معلوماتي وخبرتي، وساعدته في تعلّم أخذ العيّنات وعمل بزل نخاع..إلخ.

أيّامي في أفغانستان هي أسعدها؛ لأني أحسست أنّي ساعدت إخوانًا. محتاجون إلى لقاءٍ ياأفغانستان!

إلى لقاءٍ ياأحفاد "أبي حنيفة" و"البيرونيّ" وأبناء المجاهد "أحمد شاه مسعود". إلى لقاءٍ، وأنت حرّة.

ألا يانسيم الرّيح بلّغ سلامنا .. وصف كلّ مايلقى الغريب وخبّر

وقل لشعاع الشّمس: بلّغ تحيّتي .. أحبّاءنا واقرأها عليهم

obeikandl.com

obeikandl.com

تمّت يوميّات طبيب في وطنٍ مسلوبٍ . . .

عشرة أيّام في أفغانستان . . .

obeikandl.com

obeikandl.com

"المراجع"

- مصادر طبّيّة.

- مجلة المختار الإسلاميّ د:"يوسف عدس".

- قصّة الحضارة لـ"ول ديورانت".

- الطّبّيب: تذوّق دوائيّ د" :إدوارد إي روسيتم".

obeikandl.com